بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد الله رب العالمين لا يحصى عدد نعمه العادون. ولا يؤدى حق شكره الحامدون بديع السموات والأرض إذا قضى أمرا فإنما يقول له كن فيكون.

شهدت له بالربوبية جميع مخلوقاته. وأقرت بالألوهية جميع مصنوعاته، واشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، كلمة قامت بها الأرض والسموات كلمة اتولى بها الله ورسوله والذين امنوا. وأتبرأ بها من الطواغيت والأنداد المعبودين ظلما وزورا من دون الله.

وأشهد أن محمدا عبد الله ورسوله. أمينه على وحيه وخيرته من خلقه اشرف من وطىء الحصى بنعله، أرسله الله رحمة للعالمين. وإماما للمتقين وحجة على الخلق أجمعين. بلَّغ الرسالة وأدى الأمانة ونصح الأمه وجاهد فى سبيل الله حق الجهاد. ففتح الله به أعينا عميا وآذانا صما وقلوبا غلفا صلى الله عليه. وعلى آله وأصحابه وآزواجه وذرياته أجمعين.

وبعد.

فقد شاءت إرادة الله تعالى أن يبعث رسوله إلى الناس كافة وأن يكون ذلك الرسول من العرب الذين عاشوا مع مجتمعات مختلفة، لكنهم كانوا أقلها تعقيدا وفلسفة فى وقت كانت الضرورة ملحة إلى بعثته ووجوده لإنقاذ الأمه من مهاوى الهلاك. ﴿وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا﴾.

جاءهم وهو من خيرتهم يعرفونه حق المعرفة، فما أن بعثه الله اليهم تمسكوا بدينه وانقادوا لأقواله وأفعاله، وائتمروا بأوامره وانتهوا عن نواهيه، فكانوا سلفا لهذه الأمة وأصبحوا خير القرون. وان الأمة لازالت منصورة ما دامت متمسكة بما جاء به وسارت على سيره الذى سار فيه عليه الصلاة والسلام هو وأصحابه. وقد هيا الله رجالا نقلوا لنا سيرته وحركاته وسكناته لتسير الأمة فى ذلك السير ما استطاعت إلى ذلك سبيلا. فنقل لنا أولئك الرجال من أهل العلم كل ما صدر عنه ﷺ وكان من بينهم الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى. حيث كتب كتابه القيم الموسوم (زاد المعاد فى

هدى خير العباد) فرأيت أن أتناول منهجه والمرويات التاريخية فيه زيادة على شخصيته تكليفا من معهد التاريخ العربى والتراث العلمى وتشريفا لى أن أخوض فى غمار هذه المرويات لما تحتوى عليه من سيرة وهدى النبى الكريم عليه الصلاة والسلام. وتبيانا لأهل العلم إن زاد ابن القيم حوى ما حوى من المرويات التاريخية مما تجعله أن يذكر مع أهل التاريخ دون تأخير عنهم، فهو مؤرخ جدير بالاحترام كما هو فى العلوم الأخرى. فقد احتل مكانة عظيمة بين علماء عصره وقامت شهرته على نفائس ما ألفه من كتب فى مختلف العلوم، فنمت شخصيته سميت البحث بعنوان (ابن قيم الجوزية منهجه ومروياته التاريخية).

تناول البحث فصولا ثلاثة قدمت لها ومهدت ثم اخيرا ختمت والحقت فكانت المقدمة هذه أشرت فيها إلى الأسباب التى دفعتنى لاختيار هذا الموضوع. ثم مهدت للموضوع فى الحديث عن عصر ابن القيم متناولا الحديث عن الحالة السياسية أولا والحاله الاجتماعية ثانيا.

ثم شرعت بفصول الرسالة كالأتى: ـ

الفصل الأول: تحدثت فيه عن ابن القيم ضمن مبحثين اثنين الأول منها عن حياة ابن القيم والثانى عن مكانته العلمية. وقد قسمت المبحث الأول ضمن المطالب الأتية.

المطلب الأول: عن اسمه وكنيته ونسبه ومولده. والثانى عن نشأته والثالث عن أعماله ومناصبه والرابع عن عائلته وآل بيته. ثم ختمت المبحث بالمطلب الخامس عن وفاته.

أما المبحث الثانى: كان الحديث فيه ضمن المطالب الأتية: المطلب الأول عن رحلاته. والثانى عن شيوخه والثالث عن تلامذته والرابع عن مؤلفاته. ثم ختمت المبحث بالمطلب الخامس عن آراء العلماء فيه.

أما الفصل الثانى: فقد تحدثت فيه عن منهج ابن القيم. وكان ضمن المباحث الأتية: المبحث الأول عن منهجه العام والمبحث الثانى عن منهجه الخاص فى زاد المعاد والمبحث الثالث: كان عن المنهج العلمى لزاده وضمن المطالب الآتية: المطلب الأول منهجه التفسيرى، والمطلب الثانى: منهجه فى الحديث، والمطلب الثالث: منهجه فى الفقه واصوله، والمطلب الرابع: منهجه فى السلوك والتزكية.

وأما المبحث الرابع: فقد كان لبيان مصادره التى اعتمدها فى زاده ثم ختمت الفصل بالمبحث الخامس والذى كان مخصصا عن الملاحظات النقدية والتقويمية.

وأما الفصل الثالث: فقد قسمته إلى ثمانية مباحث. المبحث الأول: تناولت فيه المرويات العامه ضمن مطلبين اثنين المطلب الأول: مرويات ما قبل الإسلام. والمطلب الثانى أخبار أهل الكتاب.

والمبحث الثانى: خصصته عن السيرة النبوية ضمن المطالب الأتية: المطلب الأول: السيرة النبوية الخاصة والعامة. والمطلب الثانى مرويات الهجرة. والثالث عن الغزوات والسرايا. والرابع عن العهود والمواثيق. وأما المطلب الخامس فعن الوقائع والأحداث، وأما المطلب السادس كان الحديث فيه عن الرسائل والبعوث وأما السابع فعن الوفود.

وأما المبحث الثالث: فتحدثت فيه عن مرويات مكة والمدينة.

والمبحث الرابع: عن الأسماء والكنى والالقاب.

والمبحث الخامس: تناولت فيه الأيام والشهور.

وأما البحث السادس: فعن الشعر والشعراء.. والمبحث السابع فكان عن مرويات الصحابه وأخيرا المبحث الثامن فقد تحدثت فيه عن الفرق التى ذكرها ابن القيم فى زاده. ثم ختمت البحث بما توصلت إليه. وألحقته كذلك بذكر بعض التراجم التى مرت فى ثناياه ثم ذكرت أهم المصادر والمراجع التى استقيت منها بعد الجهد والعناء. وبالرغم من كثرة الذين كتبوا عن حياة ابن القيم الا أنه لم يكتب أحد كتابة وافية بحدود علمى من أهل التراجم ليكون هذا الجهد كافياً لكن هنالك من المعاصرين ممن كتبوا عن حياة ابن القيم فجمعوا بعض ما وجدوه، ومن أبرز ما قرأت من هؤلاء الأستاذ (بكر بن عبد الله أبو زيد) فتابعت بعض ما كتب من المصادر التى استقاها واعتمدت الكثير منها وزدت عليها فجاءت مصادرى بفضل الله تعالى متنوعه فى هذا البحث ولم تكن مقتصره على المصادر التاريخية فقط وإنما زدت عليها مصادر التراجم والحديث وبعض كتب ابن القيم اضافة إلى المصادر العامة الأخرى ومن المصادر التاريخية الإمام الطبرى أبو جعفر بن جرير الطبرى المتوفى سنه ٣١٠ هـ صاحب التاريخ، والخطيب البغدادى المتوفى سنة ٤٦٣ هـ صاحب تاريخ بغداد،

وكذلك صاحب السيرة الإمام ابن هشام، والإمام ابن كثير اسماعيل عماد الدين أبو الفداء المتوفى سنه ٧٧٤ للهجرة فى كتابه البداية والنهاية، وتفسيره القرآن العظيم. وكذلك رجال التراجم التاريخيه أمثال الأمام الذهبى محمد شمس الدين المتوفى سنة ٧٤٨ للهجرة والذى اعتمدت على كتابه ميزان الاعتدال فى نقد الرجال. وسير أعلام النبلاء وتذكرة الحفاظ، ومن هؤلاء أيضا الإمام السبكى تاج الدين السبكى المتوفى سنة ٧٧١ للهجرة فى كتابه طبقات الشافعية والإمام ابن رجب عبد الرحمن الحنبلى المتوفي سنة ٧٩٥ للهجرة فى كتابه الوافى بالوفيات والإمام الهيثمى المتوفى سنة ٨٠٧ للهجرة فى مجمع الزوائد. وكذلك اعتمدت كتب الحديث أمثال كتاب الإمام مالك المتوفى سنة ١٧٨ للهجرة المعروف بالموطأ، والإمام أحمد المتوفى سنة ٢٤٠ للهجرة فى مسنده، وصحيح الإمام البخارى محمد بن اسماعيل المتوفى ٢٥٦ للهجرة وصحيح الإمام مسلم بن الحجاج النيسابورى والإمام النسائى أحمد بن على بن شعيب المتوفى سنة ٣٠٣ للهجرة صاحب السنن واعتمدت كذلك بعض كتب التفسير وعلوم القرآن كالإمام الزركشى محمد بن عبد الله المتوفى سنة ٧٩٤ للهجرة فى كتابه البرهان فى علوم القرآن واعتمدت على كتب ابن القيم فى دراستى هذه اضافه إلى زاد المعاد ـ موضوع دراستنا ـ ومن ذلك كتبه مدارج السالكين واغاثه اللهفان من مصايد الشيطان وجلاء الإفهام واعلام الموقعين، واجتماع الجيوش الإسلامية، والروح وغيرها من مؤلفاته. ومن المؤلفات والمصادر والمراجع التى ساذكرها ضمن قائمه المصادر. واخيرا هذا جهدى المتواضع الذى لم آلو فيه جهدا فان أصبت فهو من توفيق الله وهذا مرادى ومبتغاى، وان اخطأت فجل من لا يُخطىء.

وهو حسبى ونعم الوكيل. وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

الباحث العلمى

الدكتورياس خضير الحَداد

العراق ـ بغداد

١٤٢٠ هـ ـ ٢٠٠٠م

تمهيد
عصر ابن القيم

إن طبيعة العصر الذى يعيش فيه أى علم من الأعلام لا سيما أعلام الفكر لابد أن يكون له الأثر البارز فى حياة ذلك العالم، ولأن الحياة وجوانبها السياسية والاجتماعية لابد لها كذلك من أن تترك الآثار والبصمات فى بناء الحياة الشخصية وتكوين الثقافة واهتمام العالم وطريقة معالجته لقضايا عصره.

وابن القيم العالم الجليل الذى ترعرع فى تلمذته على شيخه ابن تيمية الذى كان ثورة على التقليد والجمود[1] والذى حارب البدع والمبتدعة فكانت الحرب التى شنها (ابن القيم وشيخه ابن تيمية) رد فعل للحياة الإسلامية حيث طمست معالم الحضارة الإسلامية وغربت شمس الخلافة. واحتل الأعداء الصليبيون والتتار أقطار العالم الإسلامى، وعملوا على طمس هويته وإذلال شعوبه، فغدا المسلمون أضيع من الأيتام على مأدبة اللئام، وهبت عليهم ريح عاصف اجتاحتهم من فوقهم ومن أسفل منهم وزاغت منهم الأبصار وبلغت القلوب الحناجر ومزقتهم الأعاصير حتى أصبحوا وقد تكالبت عليهم الأمم وهم كثير ولكنهم كغثاء السيل فدخلت عليهم الفتن والفرق الالحادية والطوائف المذهبية والكوارث المروعة التى حلت بشعوب العالم الإسلامى، فأصبح من الضرورى أن ينبرى من علماء الأمة من يأخذ بركب القافلة ليحول اتجاهها إلى شاطىء السلامة والأمان والأمن والاطمئنان، لأن الحاجة كانت ملحة لإزالة الغبش عن نصوص الوحى الإلهى الذى تتأتى عن طريقه السلامة. فكان الإعلان من ابن القيم وشيخه أن أى دعوة لا تقوم على فهم الإسلام فهما شموليا مطابقا لفهم سلف هذه الأمة بعيدا عن المؤثرات الخارجية التى ينفثها أعداء الإسلام، ولم تكن دعوة إسلامية خالصة ما لم تنجح الوحدة، والقوة والجدارة حتى يتم التمكين الذى وعد الله به المؤمنين[2].

وسأسلط الضوء على جزء من الحالة السياسية والاجتماعية فى عصر ابن القيم تمهيداً لما نحن فيه.

---

(١) صالح سرية بين الاتباع والتقليد ص ١١.

(٢) أبو زهرة فى ابن تيمية ص ٥. والمراغى فى ابن تيميةي ص ٧ واليطار فى ابن تيمية ص ٧.

أولا: الحالة السياسة:

كان لبلاد الشام على مر العصور الأثر المشرق فى مقاومة الغزاة والطامعين لا سيما موقف أبناءها ورجالها فى مقاومة الصليبيين والتتار[1] ففى هذا العصر امتحن المسلمون امتحانا عسيرا. وزلزلوا زلزالا شديدا فكان من الطبيعى المفجع سقوط بغداد سنة ٦٥٦ للهجرة وسقوط حلب سنة ٦٥٩ للهجرة أى قبل ولادة ابن القيم، وهذا الحدث العظيم الذى يعنى انهيار الخلافة بما تحمل فى طياتها من معنى سام ورمز مقدس للمسلمين وسيطرة الاعداء الذى لا يرقبون فى الإسلام (إلا ولاذمة) فخبا لهيب المسلمين فى بلاد الإسلام وكادت شمعتهم ان يطفىء نورها لو لا عناية الله التى أغنت عن مقاومة من الدروع وعن عال من الاطم، فلم تكد تجف دماء القتلى فى سنة ٦٥٣ للهجرة حتى وصل المغول إلى بغداد. وبدأ التاريخ. يكتب صفحة جديدة للأجيال غير الصفحات الناصعات الماضيات. وقد وصف المورخ (جيبسون) الحالة قائلا:

(أنها كانت أشبه بهزات الطبيعة العنيفة التى تغير وجه الأرض. أن بعض سكان السويد وقد سمعوا عن طريق روسيا نبأ ذلك الطوفان المغولى، لم يستطيعوا أن يخرجوا كعادتهم إلى الصيد خوفا من المغول)[2] وقد تردد ابن الأثير فى تدوين مآسى تلك الازمنة قائلا: (لقد بقيت عدة سنين معرضا عن ذكر هذه الحادثه استعظاما لما لها كرها لذكرها، فانا اقدم اليها رجلا وأوخر أخرى فمن الذى يسهل عليه ان يكتب نعى الإسلام والمسلمين، ومن الذى يهون عليه ذكر ذلك فيا ليت أمى لم تلدنى ويا ليتنى مت قبل هذا وكنت نسيا منسيا، إلا أنى حثنى جماعة من الأصدقاء على تظهيرها وانا متوقف ثم رأيت أن ترك ذلك لا يجدى نفعا)[3] ويمكننا إجمال الحالة السياسية بأثر العلاقة بين المسلمين وبين غيرهم من الصليبيين والتتار وما كان لتلك العلاقة فى نفوس المسلمين حتى أن أهل العلم أمثال ابن تيمية وتلميذه ابن القيم، شاركوا الناس آلامهم، وتحملوا جزءاً من المواجهة فتصدو اللأخطار، فساهموا

(١) محمد أحمد باشميل، حرب الإسلام فى الشام فى عهود الخلفاء الراشدين ١٦. وعبد المتعال عبد الله عامر، تاريخ فتوح الشام ص ٦. ود. حسن إبراهيم حسن تاريخ الإسلام السياسى ١/ ٢١٥.

(٢) انظر محمد يوسف موسى، ابن تيميه ص ١٢.

(٣) ابن الأثير، الكامل فى التاريخ ١٢/ ٢٨.

فى الإصلاح السياسى وقد ذكر ذلك ابن تيميه قائلا: (ولقد شهدت من فراسة ابن تيميه رحمة الله أموراً عجيبة وما لم أشاهده فيه أعظم وأعظم، ووقائع فراسته تستدعى سفرا ضخما فلقد أخبر تقى الدين ابن تيميه أصحابه بدخول التتار الشام،.... وان جيوش المسلمين تكسر فى أول الأمر،.. ثم أخبر الناس... أن الدائرة والهزيمه عليهم، وأن الظفر والنصر للمسلمين، واقسم على ذلك أكثر من سبعين يمينا، فيقال له: قل إن شاء الله فيقول إن شاء الله تحقيقا لا تعليقا[1] فتشجع الناس فى قتال التتار وقد أفتى ابن تيميه بالفطر مدة القتال ضد التتار كل هذه المؤشرات السياسية والقضايا العسكرية مما لا شك انها كانت ذات تأثير واضح فى حياة ابن القيم رحمه الله تعالى.

ثانيا. الحالة الاجتماعية:

أثرت الحالة السياسية فى الحالة الاجتماعية، فزيادة على الحروب والمحن الكثيرة التى كانت سببا للابتلاء فقد شاعت كذلك المحن التى حلت بالمجتمع انذاك، ففى سنة ٦٦٧ للهجرة هبت ريح أغرقت مائتى مركب فى النيل فهلك فيها خلق كثير، وأصاب الشام صاعقة أهلكت الثمار وفى سنة ٦٦٩ للهجرة جاء سيل عارم إلى دمشق فأتلف بعض المدن وغرق بسببه الكثير من الناس[2] وقد كانت طبقات الناس موزعة بين الحكام والعلماء والشعب، فحصلت الخلافات المذهبيه إضافة إلى ما حصل من الكوراث والمحن، فأدى ذلك إلى اضطراب الحالة الاجتماعية، فانبرى بعض أهل العلم لاصلاح المجتمع وأهابوا بالحكام أن يراعوا مصالح الشعوب، ولم يألوا جهدا فى إصلاح المجتمع من داخل نفسه، لما حل بذلك المجتمع من سوء الحالة الاقتصادية حيث احتكر بعض التجار البضائع، فبين أهل العلم خطر الاحتكار من الناحية الدينية والاجتماعية. فكان ابن القيم ممن يكان له نصيب فى ذلك الإصلاح مقتديا بشيخه ابن تيميه رحمه الله تعالى[3].

(١) انظر مدارج السالكين ٢/ ٤٨٩.
(٢) انظر ابن كثير، البداية والنهاية ١٣/ ٢٢٥، ٢٥٩. و٤/ ١٨ ـ ١٢٨.
(٣) ابن كثير، البداية والنهاية ١٤/ ٧٠٦.